لم تلمني اني سمحت ولكن لمتَ اني احسنت بالله ظنـا

وحقاً لقد صدق وصدق ايضاً في قوله

والبذل يبذل من وجه الكريم وقد يضحي الندى وهو للحر الكريم ردى

من ذاك قيل لكعب يوم سؤدده رد كعب انك ورّادٌ فما وردا

الا ان شدة البذل تعد افضل من شدة البخل لان الباذل المجنون ينفع الالوف ولا يؤذي الا نفسه فقط كما انه قد يرد تلك الاذية عن نفسه بسروره من العطاء وورؤيته غيره مسروراً به مثنياً عليه او مقتدياً بعمله في حين البخيل يؤذي نفسه في حياته بما يصيبه من مضض التقتير وحرمان النفس من منيتها ويؤذيها بسب الناس وهجوهم علانية واغتياباً ثم يموت دون ان يشعر بشيء من السرور الذي اصاب وارثيه حين التمتع باموله وبذلك يموت مذموماً ملعوناً بكل شفة ولسان كما انه يموت مورثاً لاهله من سؤ الذكر ما لا يشفع به حسن المال الذي ترك على خلاف ورثاء الكريم الفقير فانهم يرثون الثناء على فقيدهم بما يكسبهم الثناء الذي يكسب المال احياناً كثيرة

وعلى الجملة فان الاليق بكل غني عاقل ان يكون اميل الى جانب الاسراف في الجود منه الى جانب الاسراف في البخل اعتباراً بما قدمنا من البراهين وانما نقول هذا لان الاعتدال صعب في هذا الشأن كما هو صعب في كل الشؤون وقد خلق الانسان متطرفاً في اكثر احواله

حديث الانيس

انه اذا كانت الاميرة اينا الانكليزية التي ستصير زوجة لملك اسبانيا بعد ايام ستنتقل من حال الى حال فتصبح كاثوليكية بعد ان كانت بروتستانتية فان هذا الانتقال لا يعد امراً غريباً في نظر العقلاء وان عده كذلك الجهلاء ولكن الانتقال الحقيقي الذي سيصيبها هو خروجها من انكلترا وعادات ملوكها وهي البساطة والحرية والتواضع الى بلاد اسبانيا ذات المجد الاثيل والعز الموروث القديم والتباهي الى آخر حدود الافتخار وابهة الملك وعظمة السلطة والتحكم في الرقاب فان هذه المملكة التي تعد الان من افقر ممالك اوروبا ويعد اهلها على شيء من الكسل بكثرة ولوعهم باللهو تعد ايضاً على جانب عظيم من ابهة العرب القديمة وبالتالي الفخر الشرقي الباطل فانهم قد حدثوا عن احوال الملوك في اسبانيا ان (الرسميات) يجب ان تتبعهم على الدوام اينما حلوا ورحلوا وناموا واستيقظوا ولبسوا وخلعوا واكلوا وشربوا وبالجملة كل احوال معايشهم من الدقيق الى الجليل ولذلك خبروا عن جلالة الملك الحالي الفونس انه منذ ولد للان وهو لا يستريح لحظة واحدة من التلقي بالرسميات والتوديع بالاكرام والاعظام الى آخر حدودهما حتى كأنه هابط من السماء وليس من ابناء حواء فانه منذ ولد وهو يعامل معاملة الملوك الكبار فلا يمازح ولا يضرب ولا يوبخ (الا من امه مثلا) ولا يحمل الا بالتجلة ولا يسار به الا في المواكب بين المشاة والفرسان دون ان يدري

لذلك معنى ولهذا يشب الملوك هناك وقد اعتادوا نهاية العظمة والاجلال عند كل مقابلة ومفارقة وهو ما لا يوجد منه شيء يذكر في انكلترا بالخصوص واكثر اوروبا بالعموم ولذلك سترى هذه الملكة اشياء ما رأتها وعادات ما الفتها وربما تتضايق كثيراً في بداءة الامر من كثرة الالقاب ومقابلات التكريم الفائق كل حد ثم تتعود ذلك حتى تصير مسرورة به لان الانسان مفطور على حب هذه الاباطيل

وانه مما يدل على تناهي اسبانيا في المجد هي تلك القصور المنتشرة في بلادها لملوكها فانك حيث سرت ترى القصور الباذخة والدور المنيفة والتأنق والترف والنعيم والمواكب فمن القصر الى الحمراء الى قصر سباستين الى قصور اشبيليا وسواها وكلها واصل الى اعلى درجات الكمال والتأنق حتى ان اعظم ملوك اوروبا حين يزورها يشده جمالها وما حوته من الزخارف ولا سيما قصر الحمراء والدار العظيمة المعروفة بالقصر وكلاهما من متروكات العرب فانهما يكادان يتالقان لفرط ما كسيا به من الذهب الخالص والرخام البديع وما حف بهما من الحدائق والمروج حتى يقال ان قصر فرسايل وما على شاكلته في اوروبا لا تكاد تذكر لدى قصور اسبانيا المتروكة من ازمان الاستبداد وابتزاز اموال الرعايا بدون حساب ولهذا قالوا عن الاميرة اينا انها على كونها من نسل الملوك بل من نسل اكبر ملوك اوربا مقاما ستندهش مما ترى من ذاك البذخ وتلك الرسميات التي لا حد لها ولعلها هي التي اشار اليها الشاعر الاندلسي بقوله

القاب مملكة في غير موضعها كالهر يحكي انتفاخاً صولة الاسد

* * *

ظهر من احد التقاويم الذي نشر عن الاسلام في الهند من سنة ١٨٨١ الى ١٨٩١ ان عددهم في ولاية مدراس كان مليونا و٩٣٣٥٧١ نفساً فصار مليونا و٩٦٠٣٨٦

وقد ظهر ان عددهم في ولاية بومباي زاد في تلك المده ١٤ بالمئة وفي اسام ١٣ بالمئة وفي بنجاب عشرة وفي بنغال والولايات الشمالية من ٧ الى ٨

ولقد ظهر من احصاء الهند الانكليزية كلها ان عدد اهلها قد بلغوا سنة ٨١ نحو ٢٣٠ مليونا و١٥٠٠٥٠ نفساً بينهم ٤٩ مليونا و٩٥٢٧٠٤ مسلما فصار عدد الجميع سنة ١٨٩١ نحو ٣٨٠ مليونا و٦٢٠٨٠ نفساً بينهم ٥٧ مليونا و٦١٧٩٦ نفساً من المسلمين وبهذا يكون عدد المسلمين في تلك المدة قد زاد بمعدل ٤٠٦ لدى المئة

ويقدر قلم الاحصاء في الهند باعتبار تلك الزيادة ان الهند كلها بعد ٥٠٠ سنة ستصبح مسلمة وليس ذلك لان الوثنيين من الهنود يموتون او يهاجرون بل لانهم يدخلون في الاسلام بتدرج سريع لان تلك الزيادة المذكورة لم تجيء من كثرة مواليدهم وانما جاءت من كثرة الداخلين في دينهم والذي يظهر ان الاسلام بعمومه في كل الارض آخذ بالانتشار السريع كما شوهد ذلك من بداءة القرن التاسع عشر ويرجح ان افريقيا جميعها ستصير مسلمة بعد زمن ليس ببعيد لان كل الذين فيها من الوثنيين او المسلمين بالاسم فقط سيصيرون مسلمين حقيقيين متمدنين وعندذلك تنتقل اكثر الوثنية الى اسلام في افريقيا واسيا ولا يبعد ان يسلم ملايين من اهالي اليابان والصين حين تنتشر المدنية بينهم ويكثر اختلاطهم بالمسلمين ولقد تظن اوروبا ان ذلك يكون خطراً عليها وبالتالي على المسيحية ولكن

العارفين ينكرون ذلك ويقولون ان انتشار الاسلام وارد من عند المدنية ولا يمكن ان يكون ضرر منه الا اذا كان الضرر السياسي دون الديني وهو ما تؤذي به اوروبا ابناء دينها وجنسها دون ان تراعي لهما حرمة في سبيل المطامع

اما عدد مسلمي الارض كلهم على حسب تقويم نشر من عشر سنوات فيبلغ ١٨٠ مليوناً ولكن الارجح انهم يبلغون الان اكثر من ثلاثمائة مليون لان ملايين عديدة منهم كانت بعيدة عن مواضع المقوّمين في ذاك العهد

* * *

من غريب ما تنبه اليه البعض في السجون والبيمارستانات ان الاصلع يكون على الغالب ابعد الناس عن الجنون وارتكاب الجرائم الكبرى وقد بدا لاحدهم بعد مراقبة عشرين سنة في السجن ان المسجونين لديه لجنايات كبرى لم يكن بينهم اصلع واحد وراقب غيره المجانين فوجد الصلع نادرين جداً لديه اما علاقة هذا بذاك فلم يرد لها ذكر ولعل سبب ذلك يأتي من كون رأس الاصلع يتنفس اكثر من رأس الازب (الكثير الشعر) فيقل بذلك الاحتقان في الدماغ ولعلهم من اجل هذا يحلقون شعور المجانين والمحمومين حتى لا يكثر عدوانهم وهذيانهم فليحمد الاصلع ربه اذ اوجد له هذه المنقبة

وعلى ذكر الصلع ننقل شيئاً عن الحلاقة وشدة حرص الاوروبيين على الصحة من جهتها ولا سيما في المانيا فقد ذكروا عن هذه الدولة انها تبالغ في مراقبة الحلاقين ولذلك كان من جملة شروطها عليهم انه يجب على كل حلاق منهم بعد ان يقص شعر الرأس ان يرميه بعيداً عن الدكان في

الحال وانه يجب عليه ان يغسل يديه قبل مباشرة الحلاقة او القص في كل مرة كما انه يتعين عليه غسل كل دكانه مرتين في الاسبوع ولا يسمح له ان يضع فيها شيئاً من المجادات والطنافس والسجوف وكل ما يحمل بقايا الشعر او الغبار كما انه يجب عليه ان يلبس رداء لا جيوب له وان يراقب بدقة كل ذي مرض جلدي يأتي بين يديه وذلك عدا ما يتعين من سائر الشروط الصحية المعروفة كغسل كل الآنية بالمياه المضادة للفساد ولعل الحكومة قد فعلت كل هذا من اجل عدم سريان عدوى الصلع ولكنها حين تعلم ان الاصلع لا يجني ولا يجرم فقد تعدل عن رأيها وتدس عدوى الصلع دساً في كل رأس

* * *

مما يذكره احد المتفلسفين انه اذا اراد احد استخدام احد من اجل ان يكون سريعاً خفيفاً في عمله فليستخدمه اذا كان قصير الاذن لان قصر الاذن يدل على الخفة والسرعة باعتبار ان كل قصير الاذن في الحيوانات هو اسرعها ركضاً واخفها واذا شاء مستخدماً من اجل القوة وكثرة الاحتمال فليستخدمه طويل الاذن لان طولها في الحيوانات يكون مقروناً بالنشاط والقوة كما هو الشأن في الفيل مثلاً

ثم قال واذا شاء خادمة تحسن الخدمة في كل اعمالها فليتخذها سوداء العينين لان سواد العيون يكون مقروناً بالامانة والاستقامة وسائر المقتضيات وعلى هذا فهو يكون مستخدماً اياها من اجل (سواد عيونها) ولقد كان الاولى ان ينصح باتخاذها زوجة لان ذلك افضل

* * *